

الفصل السابع

شركات العمال — النقابات — الإضراب

بأنواعه — المتعاونات^(١)

ماهية المشاركة والنظامان الشاملان اللذان ترد إليهما — خطر المشاركة :

الاستثمار^(٢) ، طوائف الطريقة القديمة — نقائص الجمعيات

المغلقة — شركات العمال الانجليز — الاضرابات —

النقابات — جمعيات التعاون — تذييل للطبعة

الثالثة عشرة : تقدم النقابات الحرفية —

ما يضر وما ينفع من أعمال تلك

النقابات — الماقدات الأتنية^(٣)

على العمل

ماهية المشاركة والنظامان الشاملان اللذان تُردُّ إليهما

المشاركة إحدى الوسائل التي يتوسلُّ بها الناس

لتحسين حالهم ، بها يتقنون توزيع مجهوداتهم ؛ وبها

(١) أي جمعيات التعاون سميهاها بها للاختصار (٢) أي

منع الآخرين من الدخول في الحرفة Exclusivisme

(٣) من قول العرب تألبوا ألباً واحداً أي اجتمعوا وفرنسيها

يَتَنَاصَرُونَ عَلَى حِمَايَةِ حُقُوقِهِمْ أَوْ عَلَى تَقَاضِيهَا فِي أَزْمَاتِ
الْحَيَاةِ ؛ وَبِهَا يَتَوَصَّلُونَ مِنْ طَرِيقِ تَأْزِيرِهِمْ إِلَى تَنَائِجِ
لَا يَسَعُهُمْ إِدْرَاكُهَا مَتَقَرِّفِينَ

تَوَهُمَ بَعْضُهُمْ أَنَّ الْمَشَارَكَةَ مِنَ الْأُمُورِ الْحَدِيثَةِ الَّتِي
اخْتَصَّ بِهَا عَصْرُنَا أَوْ اخْتَصَّتْ بِهَا الْمَدِينَةُ الْغَرِيبَةُ ، وَلَيْسَتْ
بِحَدِيثَةٍ بَلْ هِيَ تَطَاوُلُ الزَّمَانِ قَدَمًا . غَيْرَ أَنَّهَا ظَهَرَتْ
لِلْعَالَمِينَ بِمُظْهِرَيْنِ مُخْتَلِفَيْنِ : أَحَدُهُمَا مُطَرِّدٌ قَهْرِيٌّ جَامِعٌ فِي
حَلَقَاتٍ غَيْرِ مُنْفَكَّةٍ ، كُلُّ الَّذِينَ تَشَاكَلَتْ مِهْنَتُهُمْ ؛ وَالْآخَرُ
طَلَبُ مَفْتَحِ الْأَبْوَابِ يَدْخُلُ فِيهِ مَنْ يَشَاءُ بِاخْتِيَارِهِ ،
وَيَخْرُجُ مِنْهُ مَنْ يَشَاءُ بِلا اسْتِثْنَانِ

الْأَوَّلُ مِنْهُمَا هُوَ الَّذِي كَانَ شَائِعًا فِي الْأَزْمَنَةِ السَّالِفَةِ
إِلَى نِهَايَةِ الْقُرُونِ الْمُتَوَسِّطَةِ ؛ وَالثَّانِي هُوَ الشَّائِعُ الْآنَ بَيْنَ
مُعْظَمِ الْأُمَمِ الْمُعَاصِرَةِ

خطرُ المشاركةِ : الاستئثارُ ، جمعياتُ النظامِ القديمِ

الخطرُ الكَمِينُ فِي الْمَشَارَكَاتِ هُوَ أَنَّهَا بِتَقْوِيَتِهَا الْآصِرَةَ

الأليّة^(١) على تمادى الأيام ، تنزعُ بأصحابِها إلى
الاستئثارِ والجورِ

ذلك ما شوهدَ في طوائفِ النظامِ القديمِ ، فإنها بعد
أن كوّنت للوقايةِ والنفعِ ، تحولت إلى المشاكسةِ
والاعتسافِ

من تلك الطوائفِ ، ما تألّفَ في فرنسا على أثرِ سقوطِ
الامبراطوريةِ الرومانيةِ ، بقصدِ المناصرةِ والمدافعةِ ؛
وكان هذا التألّفُ في تلك الأيامِ ، واقياً للمُتمنّين^(٢) من
مظالمِ الأقوياءِ ، حيثُ لا يرُدُّها عنهم جينُ الحكومةِ
ولا تلتكؤُ القضاء . فكانَ أهلُ كلِّ حِرْفَةٍ في البلدةِ
الواحدةِ يجتمعونَ عصبَةً ، ويُقيمونَ عليهم زعيماً منهم ،
يُسمونهُ (مليكا) ويسنونَ لأنفسهم قوانينهم

ثمَّ خامرَ رُوحُ الاستئثارِ تلكَ الطوائفَ فأفسدَ عليها
نشأتها الحرةَ بما أرادهُ رجالها من صدِّ الآخرينَ عن

(١) ما يسمونهُ الروح الحزبي Esprit de corps

(٢) أصحاب المهن

احترافِ حِرْفِهِمْ ؛ وَكَانَتْ كُلُّ طَائِفَةٍ مِنْهُمْ تَنْقَسِمُ إِلَى ثَلَاثِ فِئَاتٍ :

١ - الْأَسَاتِذَةُ أَوْ الْمُعَلِّمُونَ وَهُمْ أَرْبَابُ الْمَصَانِعِ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ ؛ وَكَانُوا يَعْمَلُونَ بِأَيْدِيهِمْ

٢ - الرَّفِيقَاءُ ؛ وَهُمْ الْعَمَالُ

٣ - التَّلَامِيذُ ؛ وَهُمْ الْمُتَخَرِّجُونَ

فَمَا زَالَ الْعَصَبِيُّونَ الْمُتَشَدِّدُونَ يَسْعَوْنَ إِلَى تَقْلِيلِ عِدَدِ الْمُعَلِّمِينَ ، حَتَّى أَدْرَكُوا وَطَرَهُمْ بِاشْتِرَاطِهِمْ عَلَى كُلِّ مَنْ تَرَشَّحَ لِلرِّيَاسَةِ ؛ أَنْ يَتَأَهَّلَ لَهَا زَمَانًا طَوِيلًا ؛ وَأَنْ يَأْتِيَ فِي مِهْنَتِهِ شَيْئًا غَيْرَ مَسْبُوقٍ مِنَ الْإِبْدَاعِ وَغَيْرَ يَسِيرِ الْكَلْفَةِ ؛ ثُمَّ أَفْضَوْا إِلَى اخْتِصَاصِ ابْنَاءِ الْأَسَاتِذَةِ بِمَزَايَا تَرْجِيهِمْ لِذَلِكَ الْمَنْصِبِ عَلَى سِوَاهُمْ ، وَجَعَلُوا لِلرَّفِيقَاءِ عَنِ ذَلِكَ عِوَضًا بِأَنْ تَغَالَوْا فِي صَدِّ التَّلَامِيذِ لِيَدْفَعُوا عَنْهُمْ مَكْرُوهَاتِ الْمُرَاحِمَةِ

وَلَمْ يَسَلِّمِ الصَّنِيعُ مِنْ رِقَابَةِ أَوْلِيَاكَ الْمُتَشَدِّدِينَ ؛ فَقَدْ كَانُوا يَحْرِصُونَ فِيهِ كُلَّ الْحَرِصِ عَلَى الطَّرَائِقِ الْقَدِيمَةِ ؛

ولا يَرْضُونَ منها بِجَدِيدٍ إِلَّا بَعْدَ أَنْ يَجِشَّمَ صَاحِبُهُ عَرَقَ
الْقَرِيبَةِ ، فَحَالُوا بِذَلِكَ دُونَ الْإِصْلَاحِ أَمْدًا بَعِيدًا

ومن النَّكَبَاتِ الَّتِي أَنْزَلُوهَا بِتِلْكَ الْحَرْفِ :

أَنَّ كُلَّ طَائِفَةٍ أُلْزِمَتْ إِخْرَاجَ مَا يُجَانِسُ أَشْيَاءَهَا ،
بِحَيْثُ أَنَّ الْخُبَّازِينَ كَانُوا فِي عَرَائِكِ مُسْتَمَرِّينَ مَعَ مُصْلِحِي
الْمَعْجُونَاتِ الْحَلْوِيِّةِ ، وَكَذَلِكَ إِسْكَافُو الْأَحْذِيَةِ مَعَ إِسْكَافِي
النَّعَالِ ، وَالْمُدَوِيُونَ ^(١) مَعَ السِّلَاحِيِّينَ ^(٢)

نقائض الجمعيات المغلقة ^(٣)

حَاوَلَ الْمُلُوكُ مِرَارًا أَنْ يَسْنُوا قَوَاعِدَ هَذِهِ الطَّوَائِفِ
تَضَعُ حَدًّا لِمَا اسْتَأْثَرَتْ بِهِ مِنَ الْمَزَايَا الضَّارَّةِ بِالْجُمْهُورِ ؛
غَيْرَ أَنَّهُمْ لَمْ يُفْلِحُوا فِي كَشْفِ مَظَالِمِهَا : لِأَنَّ الْبَوَاعِثَ الَّتِي

(١) المدويون باعة المدي أي السكاكين ونحوها Couteliers

(٢) باعة الأسلحة Armuriers (٣) أي المستأثر بها ولا

يسمح للآخرين بدخولها Coopérations fermées

كانت تحدد حكوماتهم على وضع تلك القوانين، لم تخل
من الأغراض

على أن تلك الطوائف بحجبتها الطلبة ذوى النشاط
والاستعداد عن التخرج على الحرف التي يؤثرونها، وعن
الانتظام في سلك الرفقاء بعد التلمذة، وعن بلوغ
الجُدراء منهم، إلى مناصب الزعامة بعد المرافقة، كانت
تحويل دون الحرية الذاتية وتثبط النجاح الصناعي؛ إذ لم
يكن ذلك النجاح ميسوراً إلا بأن يتفق عليه معظم
الأساتذة، أو بأن يتسرب من خلال الشبكة الفارقة
بين كل طائفة وأخرى

ظلت تلك المصائب أشبه بحكومات عرف واستتار
حتى أمر بها الوزير الشهير « ترغو » سنة ١٧٧٦ فألغيت
غير أنها بعثت بعد نزوله عن وزارته، وقد أصلح
من شأنها ما أصلح، ثم كان القضاء النهائي عليها بقانون
نشر بين ٢ مارس و ١١ منه سنة ١٧٨٩

الغلو التفريدي^(١) الذي أوجده انقلاب سنة ١٧٨٩

خشيَ الذينَ أحدثوا ذلكَ الانقلابَ أن يرجعَ
المتهمونَ خفيةً وتدريباً إلى طوائفهم ، فأوقفوا العقوباتِ
الزاجرةَ على الزملاء^(٢) الذينَ يتفاوضونَ فيما بينهم أو
يأتمرونَ ؛ وخصوصاً الذينَ يتفقونَ على حمايةِ « صوالحهم
المزعومةِ » ؛ ثمَّ جازوا حدَّهم إلى الحجرِ على الحرِّيَّةِ
البشريَّةِ - التي تُحوَّلُ كلاً حقِّ المفاوضةِ والمشاركةِ ، إلا
أن يضرَّ بالنظامِ العامِّ - وكانَ في جملةِ ما حظَّروه
عليهم ، تحتَ القصاصِ ، أن يقعَ التحالفُ بينهم على توقيفِ
العملِ للتطرقِ من ذلكَ إلى زيادةِ الأجورِ ، أو تقليلِ
ساعاتِ اليوميَّةِ ، أو تعديلِ ما يُستنكرُ من ترتيبِ السيرِ
الدَّاخليِّ ؛ كما أنهم حظَّروا على الزعماءِ أن يتفقوا على ما

(١) التفريد ، التفريق الى فردٍ فردٍ لا يباح لأحدهما مخالفة

الأخر ولا استصراخه لشؤون مهته Individualisme

(٢) أبناء الحرفة الواحدة

يُوجب خَفْضَ الأَجورِ ، أو زيادةَ ساعاتِ اليوميَّةِ أو
تعديلَ ترتيبِ السَّيرِ الدَّاخِليِّ

فهم بهذا التَّعالَى في دَرْءِ ما خافوهُ من تجدُّدِ الطَّوائِفِ
ومَظالمِها ، ذهبوا بالإنسانِ إلى الغايةِ في العزلةِ والانفرادِ
بيد أنَّ التَّيارَ الطَّبيعيَّ ما لبثَ أن صدَعَ تلكَ القيودَ
برغمِ قسوةِ المحاكمِ ، وحملِ المشرِّعينَ على إرخاءِ ما شدُّوهُ
ظلمًا من تلكَ الأسبابِ الثَّقيلةِ

شركات العمال الانجليزي

أوَّلُ ما تألَّفتْ شركاتُ العمالِ — ولم تُبالِ التَّحريمِ
القضائيِّ — ففي أكثرِ الأقطارِ صناعةً : أمثالِ بريطانيا
العُظمى ؛ وأشهرُ تلكَ الشركاتِ في هذا البلدِ هي التي
عُرِفَتْ بالمتَّحداتِ ^(١) المهنيَّةِ ^(٢)

هذه المتَّحداتُ حرِّمَتْ ، ودحا من الدَّهرِ ، تحريمًا

(١) اسمها الانكليزي Trade unions . (٢) نسبة الى

المِهْنِ جمع مهنة ، والجمع هنا للاشعار بالتعدد والتنوع

عنيفاً ، ثم اعترف بها وأصبحت اليوم لا تكليفَ عليها
سوى تسجيل قوانينها

كثُرَ في شأنها القيلُ والقالُ . إذ رأى قومٌ أنها نافعةٌ
ورأى سواهم أنها ضارةٌ ؛ فأمأً أولاً فلا جرمَ أنَّ للعمال
الذين بينهم مزاملةٌ في المهنةِ ومُشاكلةٌ في المصلحةِ حقاً
مشروعاً في التفاوضِ والتماهِدِ لا يجوزُ حَظْرُهُ عليهم ؛ كما
أنَّ لهم حقاً غيرَ ممنونٍ في العقولِ من مطالبهم على أوليائهم
ليُجابوا إليها ؛ وفي تأليفِ نقاباتٍ منهم للاستهلاكِ ، أو
الإقراضِ أو الإنتاجِ على ما سنرى تفصيلاً بعد ، وجمعياتٍ
للتعاونِ على الضمِّمِ وأخرى للمُناصرةِ أيامَ القعودِ^(١)
وأنديةٍ للتلاقي ، ومدارسٍ للاحتِرافِ ، وفي التذاكِرِ
والتأثُّبِ^(٢) وجمعِ رؤوسِ الأموالِ فيما بينهم ؛ إلى سائرِ
الأعمالِ والأحوالِ التي يتكوَّنُ معها الشخْصُ المعنويُّ
الممَثَلُ لكلِّ شركةٍ صحيحةٍ

إلا أنَّ في أمرِ تلكِ الجمعياتِ ما يدعو إلى الأسفِ :

وهو أنها ما فتئت فعلاً كتاب^(١) منازعة لا عصائب
مؤادعة^(٢)

هذه المتحدات الانجليزية — وقادتها بوجه عام من
الرجال الأذكاء — ما برحت تُناصبُ أرباب الصناعة
مناصباً ضارّةً بها وبهم فضلاً عن الصناعة الأهلية
نفسها: ذلك أنها طالبت غير مرة بإبطال العمل إلزاماً^(٣)
مع ما فيه من الاستنهاض للهمة، والعدل في المكافأة؛
وأنها حاولت غير مرة أن تُقلّل عدد المتخرجين في الغاية
وأن تنبذ الذين يفدون من مركز إلى مركز في جواره؛
وأن تعزّز الحواجز القائمة بين كل حرفة وأخرى: كأن
تُحرّم على النجار، وهو في بيت يبتنى، أن يُحرّك بعض
الحجارة بزعم أن ذلك من شأن البناء دونه. بل أن
من تلك المتحدات ما تمادى إلى تعيين حد أعلى للعمل
في الساعة أو للعمل بإحدى الآلات، فمُنِعَ مثلاً، أن

(١) جيوش (٢) مسألة

(٣) أي مقالة A la tâche

يُوضَعُ فِي كَارَّةٍ مِنَ الطُّوبِ مَا يَرْبُو عَلَى عَدَدِ مَعْلُومٍ
كُلُّ تِلْكَ التَّضْيِيقَاتِ مِمَّا يُنَافِي الْمَدِينَةَ أَوْ يُنَافِي مَا
لِلرَّجُلِ النَّشِيطِ الشَّهْمِ^(١) مِنْ حَقِّ مُضَاعَفَةِ جَهْدِهِ
لِاسْتِزَادَةِ رِزْقِهِ ، وَيُنَافِي مَا لِأَهْلِ مَرْكَزٍ أَوْ حَرْفَةٍ مِنْ
حَقِّ الْإِنْتِقَالِ إِلَى مَرْكَزٍ آخَرَ أَوْ حَرْفَةٍ أُخْرَى لِوُجُودَانِهِمْ
أَنْ لَمْ فِيهَا رَبِحًا أَوْ فِرًا

يَلْمَحُ مِمَّا تَقَدَّمَ أَنْ لِبَعْضِ تِلْكَ الْمُتَّحِدَاتِ نَزْعَةٌ تَرْجِعُ
بِهَا إِلَى مَا كَانَتْ عَلَيْهِ الطَّوَائِفُ الْقَدِيمَةُ مِنْ شِدَّةِ الْإِسْتِثْنَاءِ
وَصَرَامَةِ الْأَنْحِيَاذِ وَسُوءِ الْأَصْطِلَاحِ ؛ فَلَوْ أَطَاعَتْ تِلْكَ
النَّزْعَةَ ، لَكَانَ أَثْرُهَا كَأَثْرِ تِلْكَ فِي الْإِيذَاءِ بِالْحُرِّيَّةِ
وَالْعَوَاقِبِ عَنِ النَّجَاحِ

خُصُوصًا مَا يَرِيدُونَهُ مِنْ تَقْلِيلِ عَدَدِ الْمُتَخَرِّجِينَ
وِإِقْصَاءِ الْعَمَالِ الْأَجَانِبِ عَنِ الشَّرِكَةِ : فَهَذَا أَمْرَانِ
لَا يَتِمَّشِيَانِ مَعَ مَبْدَأِ الْمُسَاوَاةِ وَلِئِنْ سِيرَ فِي طَرِيقِهِمَا ،
فَلَمَّا لُ أَنْ تَتَكَوَّنَ طَبَقَةٌ مُتَّفَوِّقَةٌ مِنَ الْعَمَالِ تَحْتَكِرُ شَرَائِفَ

(١) الذكي الفؤاد لا العزيز النفس كما تفهم العامة

الْحَرَفِ وَتَدَعُ سَوَافِلَهَا وَعَوَاقِرَهَا لِسَائِرِ النَّاسِ
قَالَ بَعْضُهُمْ إِنَّ الْعَمَالَ بِفِعْلِهِمْ هَذَا يُوجِدُونَ فِي الْأُمَّةِ
دَوْلَةً رَابِعَةً تَجَاهُ دَوْلَةِ الْمَمُولِينَ . نَعَمْ لَكِنَّهُمْ قَدْ فَاتَهُمْ أَنْ
طُرِدَ أُولَئِكَ الطَّبَقَةَ الْمُسْتَأْثَرَةَ مِنَ الْعَمَالِ يَكُونُونَ أَيْضًا
حِذَاءَهُمْ وَحِذَاءَ غَيْرِهِمْ دَوْلَةٌ خَامِسَةٌ : قَوْمًا ذَلِكَ السَّوَادُ
الْعَظِيمُ الَّذِي تَرَكْتُ لَهُ رَدَائِلُ الْمِرْنِ وَخَسَائِلُهَا
عَلَى أَنَّهُ لَوْ تَحَقَّقَ أَمَلُ الزُّعْمَاءِ الذَّاهِبِينَ هَذَا الْمَذْهَبَ
لَعَادُوا بِأُورِپَا إِلَى نِظَامِ الطَّبَقَاتِ الْمُتَفَاضِلَةِ عَلَى حَدِّ مَا
وُجِدَتْ قَدِيمًا فِي الْهِنْدِ وَفِي مِصْرَ
بِيدَ أَنَّ الْمُتَّحِدَاتِ الْإِنْجِلِيزِيَّةَ الْكَبْرَى تَتَّظَاهَرُ بِغَيْرِ
هَذَا الرَّأْيِ وَإِنْ كَانَتْ فِي الْوَاقِعِ لَا تُخَالِفُهُ إِلَّا قَلِيلًا

الإضراب

قَصَرَتِ الْمُتَّحِدَاتُ الْمُهَيْمِنَةُ هِمَّتَهَا فِي الثَّلَاثِينَ الْأَوَّلِينَ
مِنْ عَهْدِهَا عَلَى تَأْيِيدِ الْإِضْرَابِ
الْإِضْرَابِ ، عَلَى كَوْنِهِ قَدْ بَقِيَ مَحْظُورًا إِلَى وَقْتٍ

قريب ، لم يخل منه زمن سابق
وإن هو إلا إجماع من العمال المنتمين إلى معهد
واحد أو إلى حرفة واحدة في بلدة مخصوصها أو بلد
بعمومه ، على الامتناع من أداء ما هم موظفون عليه :
يرمون بتوقفهم هذا إما إلى استزادة أجورهم ، وإما إلى
تقليل ساعات يوميتهم ، أو إلى إدخال تعديل على
معهدهم ، أو إلى تغيير وليهم أو بعض عرفائهم
أقرت معظم الحكومات للعمال حق الإضراب :
باعتبار أنه من لوازم الحرية الفردية ؛ وأنه إذا كان
لا جناح على الواحد منهم أن يقعد عن رزقه غير مبال
ما يصبه من العسر فلا جناح على العشرة أو المائة أو
الآلاف منهم ، أن يفعلوا فعله

أما التحريم فلم يكن في عصر من العصور مانعاً من
تحزب الأحزاب : ففي فرنسا من سنة ١٨٥٣ إلى سنة
١٨٦٢ ، حوكم أربعة آلاف وخمسمائة واثنا وعشرون
عاملاً من أجل سبعمائة وتسع وأربعين مؤامرة خالفوا

بعقدها القانون ، ولم يُبرأ منهم إلا ستمائة وثلاثة عشر
وفي تلك المدّة عيّنها حوكم ستمائة وتسعة وعشرون وهيناً
من أجل تسعٍ وثمانين مؤامرةً عقّدها فيما بينهم ولم يُبرأ
منهم إلا مائتان وسبعة وثلاثون

ولمّا كانت مؤامراتُ المديرين تجري عادةً في الخفاءِ
ولا يُسمعُ لها دويٌّ ، كان العمالُ يتخيّلون أن تحريمَ
الأحزابِ ، إنما تسنّهُ الحكوماتُ في مصلحةِ أولئك
الرؤساءِ دون مرؤوسيّهم

على أن الإضرابَ الذي يحدثُ بلا صخبٍ ولا عنفٍ
لا يوجبُ ديتونةً على القائمين به ، غير أن عواقبهُ
الاقتصاديةَ تجيءُ وخيمةً في أكثرِ الأمرِ

فإذا توالى الإضرابُ ، صحبتهُ الشدّةُ والاضطرابُ ،
بعذرٍ أن المرعّين قد أجمعوا على إباحتهِ

فأمّا المرعّون فإنما يُبيحونهُ تنزّهاً عن الغرضِ ، وإن
كان فيه القضاءُ على الصناعةِ ، أو القضاءُ على البلدِ

آفات الإضراب

قد يكونُ حقُّ الإضرابِ نافعاً ، إذا أُريدت بهِ صيانةُ
العاملِ من احتيالِ المستحدثِ أو تفريره بهِ ، غيرَ أنهِ
لا ينبغي الالتجاءُ اليه ، إلا حيث لا تبقى مندوحةٌ عنهِ
بسواه. ذلك لأنهِ يقذفُ بأموالِ طائفةٍ في مهواةِ الهامكةِ ؛
ولأنهِ يصعبُ على العمالِ أن يستعوضوا من نتيجتهِ ، إن
حسنت ، ما خسروه في خلالهِ

فلو قدرنا أن إضراباً استمرَّ شهراً ، وأضاعَ العاملُ
فيه ثمانية في المائة من أجرِ سنته ؛ وقدّرنا أن خاتمةَ
الإضرابِ أكسبتَ العاملَ خمسة في المائة علاوةً على
جعلهِ ، فلنَ يسردَ ما فقدَهُ من الفرقِ إلا بعدَ تسعةِ
عشرَ شهراً

ثمَّ إنَّ الإضرابَ يقعدُ بالمستصنعينَ عن الوفاءِ
بتعهداتهم ، أو يمنهم من قبولِ الطلباتِ المستجدةِ ،
فينفعُ بذلك مناظرهم من أبناءِ جلدتهم أو ينفَعُ الأجانبَ

وقد نتج منه أحياناً : أن بعض الصناعات انتقلت إلى بلاد الهجرة ، كما انتقل تركيب السفن من (لندن) بهذه العلة ؛ أو أن بعض الصناعات ضعفت في موطنها وقويت في الخارج ، كما وهنت التجارة في فرنسا واعتزت في ألمانيا والنمسا

ومن آفات الإضراب أنه حداً المستصنعين في شيء من الآونة على استخدام الآلات لمعاينة العملة الممتنعين فاتخذوا المغزل المسمى (برجل الحديد) وهو أداة يُحرَّكها صانع واحد فتدير ألفاً وخمسمائة نفشة^(١) أو ألفي نفشة ؛ واتخذوا بعض المدد المتقنة لتأوين الأنسجة الرقيقة المعروفة بالهندية^(٢) وأصلحوا الأجهزة البخارية بأنواعها كذلك نتج من الإضراب تبديل في بعض المواد الأولى : فجعل الهيكل الحديدي في العمارة مكان الهيكل الخشبي

(١) النفشة من الصوف أو من القطن

(٢) Indienne

الخلاصة أن الإضراب من حق العامل لكنه لا يَجْمَلُ به أن يلجأ إليه مكرراً . وكائن من الحقوق ، يؤثر الحكيم إغفاله على التثبت به ترجيحاً لمصلحته

ما يجب على الحكومة أثناء الإضراب

يَتَعَيَّنُ على أولي الحلِّ والعقدِ ، حين يحدث الإضراب أن يتيقظوا لتأييد الأمن ، ويكأوا الملكية ويرعوا حرية الأفراد ؛ كما يتعين عليهم بوجه خاص أن يحموا العمال ، غير الكافين ، من اعتداء رفقائهم عليهم حماية لا تعدُّ تداخلاً منهم في شأنهم بلا مسوغ ؛ بل إنما يكون التداخل غير المشروع وغير المحمود ، حيث تآذن المجالس البلدية أو المجالس العامة بتوزيع الإعانات على المضربين وأهلهم ؛ وهو الأمر الذي يجب أن تجتنبه الحكومة تفادياً من تسريب أموال الضرائب في غير مساربها الطبيعية

ألف الناس في بعض الأقطار أن يدفعوا الإضراب

بالتحكيم : ذلك رأيٌ صائبٌ حيثُ يُوافقُ عليه الفريقان المتنازعان . أمّا إذا حتمَّ على العمالِ أو على الأولياء أن يرجعوا إلى التحكيم ، فخرجُ من الحكماء عن الحدِّ القاضى عليهم بلزومِ النزاهةِ المطلقةِ

نقابات العمال

بعد أن أقرَّت الحكومةُ الإنجليزيةُ متّحداتِ العمالِ في بلادها ، تابعتها الحكومةُ الفرنسيةُ سنة ١٨٨٤ فأقرَّت نقاباتِ الحرفِ — من الرُّوساءِ كانت أم من المرؤوسين — على قاعدةٍ أن يدخلَ فيها من يشاءُ ويخرجَ منها من يشاءُ ؛ وبذلك أصبحت مشروعةً ، بعد أن لبثت عشرين عاماً وهي مباحةٌ تسامحاً

تلك النقاباتُ جديرةٌ بالاستحسان ، ومنها طائفةٌ صالحةٌ بلا ريبٍ . تكوّنت على أن يتعارفَ الأفرادُ الذين يمتهنون مهنةً واحدةً ، ويتباحثوا في المشترك بينهم من شؤونِ حرفتهم ويجمعوا أموالاً لتأسيسِ معاهدٍ عاميةٍ

أو مشروعاتٍ خيريةٍ أو مُرَوِّجَاتٍ صناعيةٍ
غيرَ أنَّ من النِّقَابَاتِ ما يَحِيدُ عن الصِّرَاطِ الَّذِي اسْتَنَّهُ
وَأَقْرَهُ الشَّارِعُ فَتُحْدِقُ بِهِ المَحْدُورَاتُ : خذِ الفِرْقَ
النِّقَابِيَّةَ ، مثلاً خاصاً ، تَجِدُ أنَّ مُعْظَمَ العَمَلَةِ الكَدَّاحِينَ
يَتَغَيَّبُونَ عنها فَتَصْبِحُ بِتَغْيِبِهِمْ عُرْضَةً لِبَعْضِ المَضْطَرِّينَ
الْقَلِقِينَ الَّذِينَ يَتَصَدَّقُونَ لِقِيَادَةِ الآخَرِينَ بِقَصْدِ تَسْخِيرِهِمْ
لِمَصْلَحَتِهِمُ الذَّائِمَةَ ؛ فَهَمُ يَنْتَحِلُونَ لِأَنْفُسِهِمْ حَقَّ التَّكَلُّمِ
عَنْ تِلْكَ الجَاهِرِ الفَقِيرَةِ مَعَ أَنَّهُمْ لَيْسُوا إِلَّا نَفَرًا مِنْهُمْ
فَإِذَا اتَّفَقَ وَجُودُ نِقَابَاتٍ يَحْضُرُهَا أَكْثَرُ أَعْضَائِهَا
مُؤَاطِبِينَ عَلَيْهَا ، فَقَدْ تَنَدَفَعُ حَتَّى تَرْتَبِمَ بِخَطَرٍ آخَرَ : وَهُوَ
أَنْ تَمْنَعَ غَيْرَ الْمُتَنظِّمِينَ فِي سَلِكِهَا مِنْ احْتِرَافِ حِرْفِهَا
فَتُنَاقِضَ بِذَلِكَ الحُرِّيَّةَ الفَرْدِيَّةَ وَتَعْتَرِضُ حَيْثُ عَثَرَتِ الطَّوَائِفُ
القَدِيمَةُ وَبَعْضُ المُتَّحِدَاتِ الانْكِلِزِيَّةِ

لهذا يجبُ على الشَّارِعِ أَنْ يَتَنَبَّهُ ، وَأَنْ يَحْرِصَ عَلَى
شَأْنِ رَسْمِيٍّ أَوْ شَبِيهِهِ بِالرَّسْمِيِّ لِأِحْدَى تِلْكَ النِّقَابَاتِ ؛ إِذْ
قُصَّارَى أَمْرِهِ أَنْ يَدْعَهَا حُرَّةً وَلَا شَيْءَ عَلَيْهِ فَوْقَ هَذَا

من نحو الإفاضة عليها بالنعم والإحسان إليها بالمميزات^(١)
ومما يجب أيضاً أن لا تمشى قوانينُ الغُرفِ النقايةِ
قسراً على أهلِ الحرفةِ الواحدةِ حتى ولا على أعضائها —
عمالاً كانوا أم وهنأء — بل يتحتم أن تكون سلطةُ
الغرفةِ على رجالها معنويةً محضةً ؛ لهم أن يلقوها عن
عواتقهم حين لا يسكنون إليها

على أن هذه الجمعياتِ يُمثلها أشبهُ شئٍ بانزهاينات^(٢)
بمعنى أن الحكومةَ لا تُصدرُها ولا تُؤازرُها ، وإلاَّ
خيفَ أن تنقلبَ الغُرفُ النقايةُ إلى معتصباتٍ جائرةِ

المتعاونات^(٣)

تتصفُ جمعياتُ العمالِ في بعضِ أحوالها بصفةِ
اقتصاديةِ يديئةٍ ، فتدعى حينئذٍ بِشركاتِ التعاونِ أو
المتعاوناتِ

(١) Concessions (٢) Veux monastiques

(٣) شركات التعاون

بعض هذه الجمعيات تجعل غرضها جمع رؤوس
الأموال وإفراضها لأعضائها على ضمان معلوم : فتعرف
بالمعاونات المالية ؛ وبعضها تشتري البضاعة جملة ثم
تبيعها من أعضائها أشتاتا ، فتعرف بالمعاونات الاستهلاكية ؛
وبعضها تؤلف بين جمهور من أهل الحرفة الواحدة
يعملون بلا وهين ثم يبيعون مصنوعاتهم ، فتعرف
بالمعاونات الإنتاجية

أما الفئتان الأوليان فسيرد الكلام عليهما خلال
البحث في الذسيئة والاستنفاد^(١) (أنظر هذين العنوانين
في القسم الثالث من هذا الكتاب)

وأما الثالثة ، وهي المتعاونات الإنتاجية ، فزهد ما
يقال فيها : وإن هي إلا ضرب من التناصر ، جرب
أقل مما جرب صنواؤه الآخرون ، يجتمع له عمال أذكاء
متبصرون كادون ، فيتفاهمون غرضهم ويحبون شيئا من
أموالهم المدخرة فيؤسسون بيت صناعة ، أو بيت تجارة

(١) الاستهلاك ، سيرد تفسير هذه اللفظة في القسم الثالث

فَإِذَا أَحْكَمُوا آرَاءَهُمْ وَرَعَوْا نِظَامَهُمْ ، وَأَحْسَنُوا اخْتِيَارَ
وَلِيَّهُمْ وَمُكَافَأَتَهُ وَاتِّبَاعَهُ ؛ وَإِذَا اِكْتَفَوْا عَقِبَ ذَلِكَ
بِالْمَيْسُورِ مِنَ الْأَجْرِ ، وَأَضَافُوا مَا يَرْبُو مِنْ كَسْبِهِمْ إِلَى
رَأْسِ مَا لَهُمْ ، تَسَنَّى لَهُمُ النَّجَاحُ بَعْدَ زَمَنِ طَوِيلٍ وَلَا سِيَّمَا
فِي الصَّنَاعَةِ الصُّغْرَى

عَلَى أَنَّهُ قَلَّمَا يَتَيَسَّرُ لَتلكِ الْجَمْعِيَّاتِ أَنْ تَفْلِحَ إِفْلَاحًا
ثَابِتًا : لِمَا يَقَعُ بَيْنَ رِجَالِهَا عَادَةٌ مِنَ التَّدَابُرِ ، وَلِمَا يَشُدُّ
بِهِ سَوَادُهُمْ عَنِ النَّظَامِ ، وَلِمَا يَتَعَذَّرُ عَلَيْهِمْ مِنَ الظَّفْرِ بَوَلِيٍّ
كُفُوٍّ ؛ كُلُّ ذَلِكَ فَضْلًا عَنْ عِزَّةِ رَأْسِ الْمَالِ

فَأَمَّا الَّتِي أَفْلَحَتْ مِنْهَا ، فَهِيَ الَّتِي حَصَرَتْ سُلْطَانَهَا
حَصْرًا فِي يَدِ مُدَبِّرِهَا ، وَقَلَّتْ تَدْرِيجًا عَدَدَ أَعْضَائِهَا
الْعَامِلِينَ ، وَاتَّخَذَتْ صِنَاعًا مَأْجُورِينَ لَيْسُوا مِنْهَا ؛ ثُمَّ لَمْ
يَزَلْ أَكْثَرُهَا يَتَرَفَّى حَتَّى تَحُولَ - عَلَى نَحْوِ مَا جَرَى
لِنِسَاجِ الْقُطْنِ فِي انْجَلْتِرَا - إِلَى شَرِكَاتٍ مُسَاهِمَةٍ بَسِيطَةٍ ،
قَوَامُهَا رُؤُوسُ الْأَمْوَالِ وَعُمَّالُهَا أَجْرَاءُ لَا شُرَكَاءَ
وَمَنْ عَرَفَ شَأْنَ الْمُسْتَحْدِثِ بِحَقِيقَتِهِ كَمَا شَرَحْنَاهُ فِي

فَصَلِّ سَابِقٍ لَمْ يَعْجَبَ مِنْ قَلَّةِ الْمُتَعَاوِنَاتِ الْإِنْتاجِيَّةِ (أَنْظِرْ
فِي الْقِسْمِ التَّالِيِ الْإِحْصَاءَ الْخَاصَّ بِأَنْوَاعِ التَّعَاوُنِ فِي فِرْنَسَا
وَفِي الْبُلْدَانِ الْآخَرَى)

الْجُمْلَةُ الَّتِي يُنْتَهَى إِلَيْهَا مِنْ ذَلِكَ التَّفْصِيلِ : هِيَ أَنَّ
الْمُعْضِلَ الْقَائِمَ فِي وَجْهِ شَرَكَاتِ الْعُمَالِ ، إِنَّمَا حَلُّهُ فِي
التَّوْفِيقِ بَيْنَهَا وَبَيْنَ الْحُرِّيَّةِ الذَّاتِيَّةِ ؛ وَأَنَّ كُلَّ جَمْعِيَّةٍ ذَاتِ
شَأْنٍ رَسْمِيٍّ كَمَا كَانَتِ الطَّوَائِفُ الْقَدِيمَةُ ، يَجِبُ الْإِنْعَاؤُهَا ،
وَأَبْدَالُهَا بِجَمْعِيَّةٍ حُرَّةٍ لَا سُلْطَانَ لَهَا إِلَّا عَلَى أَبْنَائِهَا ،
لَا يَعْوُقُ أَحَدًا مِنْ أَعْضَائِهَا عَاتِقًا عَنِ الْخُرُوجِ مِنْهَا حِينَ
يَشَاءُ



تذييل

للطبعة الثالثة عشرة

تقدم نقابات العمال — ونقابات الوهناء — والنقابات المختلطة —
مصفق العمل^(١) — المتضافر العام للعمال —
النافع والضار من النقابات

كان من تأثير القانون الذي سنَّ لنقابات الحرفِ
ومرَّ ذكره أن تولَّدت النقابات وتكاثرت عاماً بعد
عامٍ ، حتى إذا أُحصيت في فرنسا بعد انتشار ذلك
القانون بثمانى سنين ، بلغت ثلاثة آلاف وثمانمائة وإحدى
عشرة في أوَّل يناير سنة ١٨٩٢ ، واثنى عشرة ألفاً وتسعمائة
وإحدى وسبعين في أوَّل يناير سنة ١٩٠٧ : من هذا الرِّقم ،
ثلاثة آلاف وستمائة واثنى عشرة نقابةً صناعيةً وتجاريةً
للوُهناء ، وخمسة آلاف واثنان وعشرون نقابةً للعمال

(١) المصفق هو المكان الذي تُباع فيه الأشياء صفقةً واحدة
أو تُصفق فيه الأيدي عند وجوب البيع وسيأتي تفسيرها تفسيراً
وافياً في الجزء الثالث

ومائة وأربع وخمسون نقابةً مُختلطةً وثلاثة آلاف وثمانمائة
وثماني وثمانون نقابةً زراعيةً

ثمَّ امتدَّت هذه النَّزعةُ إلى أن جاءت سنة ١٩٠٦ ،
فتكوَّن فيها وحدها من نقاباتِ الأُولياءِ ، ثلاثمائة وإحدى
وعشرون ، ومن نقاباتِ العمَّالِ ، أربعمائة وخمس وستون
ومن النقاباتِ الزراعيَّةِ ، ثلثمائة وثلاثون ، ومن النقاباتِ
المختلطةِ ، أربع عشرة نقابةً

وقد جاء في الإحصاءِ الرَّسميِّ أنه منذُ إنفاذِ القانونِ
الصَّادرِ في ٣١ مارس سنة ١٨٨٤ ، لم يَسْتَجِدَّ في مَدَى عامٍ
قَدْرٌ مثلُ هذا العددِ من الجمعيَّاتِ المذكورةِ

على أن قِلَّةَ النَّقَابَاتِ المختلطةِ ممَّا يدعو إلى الأسفِ
ويؤخذُ من الإحصاءِ المنشورِ في أوَّل يولييه سنة
١٩٠٧ أنَّ النَّقَابِيَّينَ بلغوا مليوناً وتسعمائة وثمانية وخمسين
ألفاً منهم ثمانمائة وخمسون ألفاً زُرَّاعاً وثمانمائة وأربعون ألفاً
عمَّالاً ، ومائتان وستون ألفاً أولياءِ ، أمَّا تعدادُ الصَّنَاعِ
فقد قُدِّرَ بنحو ستة ملايين ، وأمَّا تعدادُ الزُّرَّاعِ من فعَّالَةٍ

وملأكَ فبمثله ، وأما تعدادُ الوُهْناءِ من تجارٍ ومُستَصْنِعِينَ
فبمليونٍ وخمسمائةِ ألفٍ

كَانَ مِنْ مُوَلِّدَاتِ الحَرَكَةِ النِّقَابِيَّةِ ، تَأْسِيسُ
مَصَافِقِ العَمَلِ

شُرِعَ فِي تَأْسِيسِهَا مُنْذُ عَامِ ١٨٨٧ ، وَتَمَدَّدَتْ فَقَامَ
مِنْهَا فِي كُلِّ حَاضِرَةٍ مَعَهْدٌ ؛ هَذِهِ المَصَافِقُ إِذَا
أَحْسِنَتْ إِدَارَتَهَا وَتَجَرَّدَ فِيهَا القَصْدُ لِلخَيْرِ والمَعْرُوفِ ،
أَفَادَتْ فَوَائِدَ جَلِيَّةً أَخَصَّهَا تَوْزِيعُ العَمَالِ عَلَى البِلَادِ تَبَعًا
لِحَاجَتِهَا وَحَاجَةِ الصَّنَاعَةِ فِيهَا ؛ وَمِنْ مَنَافِعِهَا الكَبِيرَى أَنَّهَا
تَنْفَسِحُ لِاجْتِمَاعِ النِّقَابَاتِ وَالمَتَاعُونَاتِ ؛ وَأَنَّهَا تَحْضُرُ فِي
حِيزِهَا مَعَاهِدَ الاسْتِعْلَامِ وَالتَّخْدِيمِ ، وَحَلَقَاتِ التَّخْرِيجِ
الصَّنَاعِيِّ بِآلَاتِهَا وَمَحَاشِدِ الكُتُبِ وَالدَّفَاتِرِ

أُحْصِيَتْ تِلْكَ المَصَافِقُ إِلَى أَوَّلِ يَنَآيِرِ سَنَةِ ١٩٠٧ ،
فكَانَتْ مِائَةً وَإِحْدَى وَثَلَاثِينَ دَارًا يَنْتَمِي إِلَيْهَا أَلْفَانُ
وَخَمْسِمِائَةٍ وَسِتِّ وَثَمَانُونَ نِقَابَةً ، وَأَرْبَعِمِائَةً وَخَمْسَةَ وَخَمْسُونَ
أَلْفًا وَسَبْعِمِائَةً وَتَسْعُونَ نِقَابِيًّا . وَأكْثَرُهَا يُمَدُّهَا المَجَالِسُ

البلدية بالإعانات ولا سيما دارُ العمل الشهيرةُ في باريس
غير أن هذه الدارَ وطائفةً من نظائرها قد نسيَت
لسوء الحظِّ مقصدَ القانون من الترخيصِ بوجودها ، كما
نسيَت الغايةَ الاقتصاديةَ التي تُعِينُها لها طبيعةُ الأشياءِ ،
فَتحوَّلت إلى مَباعِثٍ لِلْفِتَنِ والثَّوَرَاتِ واشتغلتَ عمَّا
وُضِعَتْ لَهُ بالدَّعْوَةِ المستمِرَّةِ إلى الإضرابِ : والإضرابِ
في عرفِها إنما هو « حَرْبُ التَّفَاضُلِ بين الطبقاتِ »

المَصَافِقُ التي شَدَّتْ هذا الشُّدُودَ - وفي طليعتها
مَصَفَّقُ باريس - لم تَلْبَثْ أن دَخَلَتْ في تَبَعِيَّةِ عِصَابَةِ
ضَخْمَةٍ ، تَكُونَتْ سنة ١٨٩٥ ، باسمِ التُّضَافِرِ^(١) العامِّ بين
العمالِ ، على يَدِ فَرِيقٍ مِنَ الصَّنَاعِ الاِشْتِرَاكِيِّينَ ، جَمَعُوها

(١) اصطلاحنا على هذا المصدر ومشتقاته لتسمية الاتحاد الذي
يعقد بين شركات وشركات ؛ لأن في التضافر بجانب معنى التناصر
والتعاقد معنى ائتلاف الجمع بالجمع كما تأتلف الخصلة بالخصلة في
الضفيرة فكل ما يسمونه Union او اتحاداً كان تضافراً وكل
شركة عامة تنضم اليها شركات فهي متضافرة

أَفْوَى ذَرِيعةٍ لِمُكَافَحةِ التَّفَاوُتِ فِي الطَّبَقَاتِ ، وَلِتَهْيِئَةِ
الانقلاب الاجتماعي العظيم ؛ فَنَجَمَ مِنْهَا تَعاقِبُ الفِتَنِ
وتوالي الإضراب لغير ما سبب مشروع
إِلَّا أَنْ هَذِهِ النِّقَاطِصَ تَسْتَدْعِي القَضَاءَ عَلَى النِّقَابَاتِ ،
وَلَا سِيَّما النِّقَابَاتُ المِخْتَلِطَةُ الَّتِي تَعْنَى تَعَدُّدَهَا بِلا حِصْرٍ ،
وَلَا تَمْنَعُنَا مِنْ رَجَاءِ الخَيْرِ عَلَى يَدِهَا ، فِيمَا إِذَا أَحْكَمْتَ
سَيْرَهَا وَلَزِمْتَ المُسَالمةَ

إِنَّ قَانُونَ ٢١ مارس سنة ١٨٨٥ قد مهَّدَ لِلنِّقَابَاتِ
الحَرْفِيَّةِ مَذَاهِبَ شَتَّى تَمَشَى عَلَيْهَا فِي أَعْمَالِهَا : مِنْ ذَلِكَ
أَنَّهُ أَبَاحَ لَهَا إِيجَادَ صِنَادِيقَ المِبارَةِ^(١) ، وَصِنَادِيقَ لِلقُعُودِ
وَحُجْرًا لِلإِسْتِعْلَامَاتِ الخ ؛ وَأَنَّهُ أَجَازَ لَهُمُ تَكْوِينَ مُتَعَاوَنَاتٍ
لِلإِنْتاجِ أَوْ لِلإِسْتِهْلَاكِ ، وَشَرِكَاتٍ لِلتَّامِينِ مِنَ الإِصَابَاتِ
البَدَنِيَّةِ ائْتَاءَ العَمَلِ ، وَمِنَ الحَرِيقِ وَمِنَ سائِرِ المَحْذُورَاتِ ،
وَشَرِكَاتٍ مُدَايِنَةٍ^(٢) ، وَشَرِكَاتٍ مُسَاعِدَةٍ فِي أَيَّامِ الفَرَاغِ

(١) المِبارَةُ أَي بَرٌّ كُلِّ وَاحِدٍ الأخر Secours mutuels

(٢) اقراض واقتراض

إلى آخر ما يدخل في هذا الباب مما لم يشترط فيه سوى
مراعاة النصوص القانونية الخاصة بكل من هذه الأنواع
اجتنبت طائفة من النقابات أن تتخذ فروعاً للأغراض
التي سردناها آنفاً؛ واتخذت طائفة أخرى من الفروع
لتلك الأغراض ما شاءت: فكان إلى أول يناير من عام
١٩٠٥ أن ألفاً وستمائة وستاً وتسعين نقابة منها، أسست
دور مطالعة؛ وخمسمائة وثمانين منها، مدارس حرفية
أو حلقات تخرج؛ واثنين وثلاثين منها، مباريات^(١)
صناعية ومعارض؛ وألفاً ومائة وسبعاً وتسعين منها،
صناديق للمباراة أو للادخار؛ وألفاً وخمسة منها، صناديق
لإمداد المسافرين؛ وسبعمائة واثنين وستين منها، صناديق
لمساعدة المتفرغين؛ ومائة وخمسة منها، صناديق للقمود؛
وثمانية وثلاثين منها، شركات للتأمين من الإصابات
البدنية؛ ومائة وثلاث عشرة منها، شركات للمداينة؛ وثلاثاً
وعشرين منها، حقولاً اختيارية؛ واثنين وثمانين منها،

مَعَاهِدَ لِلتَّحْلِيلِ وَالتَّجْرِبِ ؛ وَمِائَةً وَسَبْعًا وَخَمْسِينَ مِنْهَا ،
مُتَعَاوِنَاتٍ اسْتِهْلَاقِيَّةً تَوَلَّدَتْ مِنْهَا خَمْسَ عَشْرَةَ مُتَعَاوِنَةً
إنتاجيةً في سنة ١٨٩١، وعشرون في سنة ١٨٩٩ وسبعون
في سنة ١٩٠٥

دَعَى مَكَاتِبَ التَّخْدِيمِ الَّتِي فَتَحَتْهَا أَلْفٌ وَسَبْعِمِائَةٌ
وَعِشْرُونَ نِقَابَةً إِلَى دُخُولِ سَنَةِ ١٩٠٥ ؛ وَدَعَى النِّشْرَاتِ
وَالصُّحُفَ وَالْمَجَلَّاتِ الَّتِي أُصْدِرَتْهَا سِتْمِائَةٌ وَخَمْسَ وَعِشْرُونَ
نِقَابَةً

طَفِقَتْ تِلْكَ المَحْدَثَاتُ تَمَوُّعًا بَعْدَ عَامٍ، وَسَتَلِدُ الحِرْكَةُ
النِّقَابِيَّةُ مَا شَاءَ اللهُ مِنْ أَمْثَالِهَا

أَمَّا المَجْمُوعُ الَّذِي انْتَهَتْ إِلَيْهِ فِي السَّنَةِ المَذْكُورَةِ ،
فَقَدْ بَلَغَتْ عِدَّتُهُ ثَمَانِيَةَ آلَافٍ وَخَمْسِينَ مَعْمَدًا : مِنْهَا سِتَّةُ
آلَافٍ وَأَرْبَعَةٌ وَثَلَاثُونَ بَيْنَ مَكَاتِبِ تَخْدِيمٍ ، وَدُورِ مُطَالَعَةٍ ،
وَصِنَادِيقِ إِمْدَادِ المُسَافِرِينَ ، وَصِنَادِيقِ مُنَاصَرَةٍ ، وَصِنَادِيقِ
إِعَانَةٍ عَلَى الفِرَاعِ ، أُسِّسَتْهَا نِقَابَاتُ العَمَالِ ؛ وَمِنْهَا أَلْفٌ
وَأَرْبَعِمِائَةٌ وَأَرْبَعَةٌ وَعِشْرُونَ مَعْمَدًا أُسِّسَتْهَا نِقَابَاتُ الأَوْلِيَاءِ

ومنها مائتان وثلاثة عشر أوجدتها النقابات المختلطة؛
وخمسمائة واثنان وثمانون أوجدتها النقابات المتضامرة
يُستخلص من الإحصاء المارَّ أن مجال النَّجَاحِ
يَنْفَسِحُ في وجهِ نقابات العمالِ إنَّ ثابَّتْ إلى رَشْدِهَا وتابَّتْ
عن الفِتَنِ والنِّزَعَاتِ الثَّوْرِيَّةِ

ولعلَّ خَيْرَ وَسِيلَةٍ تَرْجِعُ بِتلكِ النقاباتِ إلى الحِكْمَةِ
والمُؤَادَعَةِ على ما يَصِفُهُ بَعْضُهُمْ ، أن يُوَسِّعَ لها القانونُ
ما ضَيَّقَهُ عليها من إجازةِ التَّمَلُّكِ

العقد الألبى

شَرَعَ النَّاسُ مِنْذُ ابتداءِ القَرْنِ العِشْرِينَ يَتَبَاحَثُونَ
في نَوْعِ جَدِيدٍ مِنَ المِعاقدَةِ بين الوُهْناءِ والعمَّالِ سَمَّوَهُ
بِالعَقْدِ الألبى

ذلك أن يَتَّفِقَ الوَلِيُّ أو جَمْعٌ مِنَ الأولياءِ ، مع جَمْعٍ
من العمَّالِ أو بَعْضِ نِقابَاتِهِمْ ، على شَرائِطِ الخِدْمَةِ ،
وسعْرِ الأجرِ ، وساعاتِ اليَوْمِيَّةِ ، وسائرِ قِوَاعِدِ السَّيْرِ

إلى نهاية هذه المعاهدة، ومدتها فيما يقال سنتان أو ثلاث
أو أربع؛ وفي ظنهم أنهم باستبدالهم هذا العقد المفصل
المدقق فيه بالعقد الفردي، يستأصلون أسباب الخلاف
بين الرؤساء والمرؤوسين ويتقنون الإضراب، ويهيئون
خير ما يهياً لجري الصناعة في مجرى آمن مطرد
نحن نكتب هذه السطور (١٠ يولييه سنة ١٩١٠)
ومسيو فينياني^(١) وزير العمل، قد عرض على مجلس النواب
اقتراحاً من هذا الضرب وإليك خلاصته:

البند الأول - يجوز لمندوبي إحدى النقابات
الحرفية أو لمندوبي أي جمهور كان من طالبي الخدمة،
أن يعاقبوا أحد المستخدمين^(٢) أو مندوبي إحدى
النقابات الحرفية، أو نواب أي جمهور كان من المستخدمين،
عقداً ألياً، تعين فيه بعض الشرائط التي يجب أن تستوفى فيها
الاتفاقات الفردية المرتبط بها أحد الداخلين في العقد

(١) Viviani وزير فرنسي (٢) المستخدم هو من

يخدم والمستخدم هو الذي يُخدم

الألبي . فالذين يُعدُّون داخِلين في العقدِ الألبى هم :

١ - المستخدمِ مونَ أو المستخدمِ مونَ الذين فَوْضُوا

مندوبيهم تفويضاً كتابياً خاصاً أن يشارِطوا باسمهم

٢ - الذين يكونون حينَ التوقيعِ على العقدِ أعضاءً

في نقابةٍ حرفيةٍ أو جماعةٍ أُخرى مرتبطةٍ بهذا العقدِ ولا ينفصلونَ عنها قبلَ انقضاءِ ثلاثةِ أيامٍ تامةٍ من تاريخِ

الإيداعِ^(١)

٣ - الذين يدخلونَ ، قبلَ إيداعِ العقدِ الألبى ، في

نقاباتٍ حرفيةٍ مُشتركةٍ فيه أو منضمةٍ إليه

٤ - يجوزُ التعاقدُ الألبى إلى أجلٍ غيرِ مُسمًى ؛

وفي هذهِ الحالةِ ، يسوغُ الغاؤه حينما تريدُ إحدى

النقاباتِ الداخلةِ فيه أن تخرجَ منه ؛ سوى أن مندوبيها

مُكلفونَ بإبلاغِ الفريقِ الآخرِ عزيمتهم على الانفصالِ قبلَ

الانفصالِ بشهرٍ . وكلُّ اتفاقٍ على تقصيرِ هذهِ المدةِ

يكونُ باطلاً

فَإِذَا كَانَ الْإِتِّفَاقُ الْأَلْبِيَّ لِأَجْلِ مُسَمًّى فَغَيْرُ جَائِزٍ أَنْ
يَمْتَدَّ إِلَى أْبَعَدَ مِنْ خَمْسِ سِنِينَ . وَإِذَا كَانَ ذَا مُدَّةٍ
مُعَيَّنَةٍ وَانْتَهَتْ ، تَمَشَّتْ عَلَيْهِ أَحْكَامُ الْعَقْدِ الَّذِي لِامُدَّةِ لَهُ

ه - لِكُلِّ دَاخِلٍ فِي عَقْدِ الْأَلْبِيِّ ذِي أَجَلٍ مَعْلُومٍ
أَنْ يَخْرُجَ مِنْهُ حَيْثُ شَاءَ عَلَى أَنْ يُبْلَغَ ذَلِكَ إِلَى الْمَسْرَةِ (١)
أَوْ إِلَى قَلَمِ كُتَّابِ الْحِكْمَةِ ، وَعَلَى أَنْ يَنْفَصَلَ مِنْ كُلِّ
تِقَابَةٍ حَرْفِيَةٍ مُرْتَبِطَةٍ بِذَلِكَ الْعَقْدِ

٦ - تِقَابَاتُ الْمُسْتَعْدِمِينَ أَوْ الْمُسْتَعْدَمِينَ الَّتِي
تُعَاقِدُ الْأَلْيَاءَ ، مَكْلَفَةٌ بَأَنَّ لَا تَأْتِي أَمْرًا مِمَّا يَحْوِلُ دُونَ إِتْقَادِهِ
بِالصَّدَقِ ، وَلَا يَكُونُونَ مَسْئُولِينَ عَنْ ذَلِكَ الْإِتْقَادِ إِلَّا فِي
الْحَدِّ الَّذِي عَيْنَهُ الْعَقْدُ

٧ - تِقَابَاتُ الْحَرْفِ أَوْ الْأَفْرَادِ الْمُرْتَبِطِينَ بِالْعَقْدِ
الْأَلْبِيِّ ، يَغْرَمُونَ الْعِوَضَ فِيمَا إِذَا أَخَاؤُا بِشَرَائِطِهِ ؛ وَذَلِكَ
الْعِوَضُ إِنَّمَا يُطَالَبُ بِهِ أَحَدُ فَرِيقَيْنِ :

إِمَّا تِقَابَاتُ الْحَرْفِ أَوْ الْأَفْرَادِ ، الدَّاخِلِ كِلَاهُمَا فِي

(١) الْمَسْرَةُ مَا يُسَمَّوْنَهُ بِالسُّكْرَتَارِيَّةِ أَيْ مَحَلَّ حِفْظِ الْأَسْرَارِ

الألب الذي جرتِ المعاقدةُ بينهُ وبينَ المُخلّين؛ وإمّا
تقاباتُ الحرفِ أو الأفرادُ، الدّاخِلُ كلاهما في الألبِ
الذي كانَ أصحابُهُ همُ المُخلّين اه... .

فظاهرُهُ من هذه النصوصِ أنّ العقودَ الألبيةَ ينبغي
أو يتَحتمُّ أن تَتَمَّ بين تقاباتِ عمّالٍ وأولياءِ أفرادٍ، أو بينها
وبين تقاباتِ أولياءِ

غيرَ أنه لا يَحسنُ بنا نسيانُ أنّ كثيراً منَ العمالِ
وكثيراً منَ الأولياءِ غيرُ مُنتَمينَ إلى تقاباتٍ؛ وأنّ في
إكراههم على الانتماءِ إليها أذى فادِحاً وخطراً جُساماً
قد تكون هذه المعاقداتُ الألبيةُ نافيةً .

حيثُ يثبتُ يقيناً أنّ الفريقينِ يرعيانها، وحيثُ تُجملُ
العقوباتُ القانونيةُ ضامنةً لإنفاذها ورقابتها، مانعةً من
مُخالفتها

إلا أنّ هذه العقوباتِ، وإن هي إلاّ تعويضاتٌ،
يسهلُ اشتراطها ويسهلُ تقاضياها منَ الأولياءِ؛ لكنه
يصعبُ جدّاً أن تستوفى من العمالِ أو تقاباتهم: لأنّ

مُعْظَمُهُمْ لَا يَمْلِكُونَ مَا يَنْبَغِي بِهَا ؛ وَعَلَى هَذَا قَتَلَكِ الْعُقُودُ
مَازِمَةً فِي الْوَاقِعِ لِلْأَوْلِيَاءِ وَغَيْرِ مُلْزِمَةً لِلْعَمَالِ

عَلَى أَنَّنَا نَخْشَى نَظْرًا إِلَى مَا نَحْنُ فِيهِ مِنَ الْوَقْتِ أَنْ
تَكُونَ الْعُقُودُ الْأَلْبِيَّةُ أَقْرَبَ إِلَى الْوَهْمِ

لَكِنْ لَوْ قَدَّرْنَا زَوَالَ الْحَوَائِلِ الَّتِي تَحُولُ دُونَهَا : كَأَنْ
تَتَحَقَّقَ مَسْئُولِيَّةُ نَقَابَاتِ الْعَمَالِ وَأَشْبَاهِهَا فِيمَا لَوْ أُخِلَّ
زُعَمَاؤُهَا أَوْ الْمُنْتَمُونَ إِلَيْهَا بِعُهُودِهِمْ ، لَكَانَتْ الْعُقُودُ
الْأَلْبِيَّةُ تُفِيدُ فِي أَحْوَالِ جَمَّةٍ ؛ وَكَانَتْ لَنْ تُصْبِحَ شَامِلَةً
عَمِيمَةً كَتَخِيلِ بَعْضِ الْمُتَخِيلِينَ

بَلِ الظَّاهِرُ أَنَّ " الْعَقْدَ الْفَرْدِيَّ " هُوَ الْمَتَعَيْنُ لِلْبَقَاءِ
وَالشُّيُوعِ ، مِنْ حَيْثُ أَنَّهُ أَشَدُّ مُوَافَقَةً لِجُرِيَّةِ الْفَرِيقَيْنِ
وَكَثْرُ انْطِبَاقًا عَلَى مَا لَا يَكَادُ يُحْضَرُ مِنْ تَنْوَعِ الْأَعْمَالِ
وَتَقَابِ الْأَحْوَالِ

